

مكتبة مشكاة الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

ابن الجوزي

سورة فصلت

مكية كلها بإجماعهم ويقال لها سجدة المؤمن ويقال لها المصابيح.
بسم الله الرحمن الرحيم.

{ حـ } * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا
فُلُونَا فِي أَكْنَةِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
وَ عَمَلْنَا إِنَّا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَ سْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ سْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * لَذِينَ لَا يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنْ لَذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {

قوله تعالى: { تَنْزِيلٌ } قال الفراء: يجوز أن يرتفع تنزيل ب { حم }
وجوز أن يرتفع بأضمار هذا وقال الزجاج: تنزيل مبتدأ وخبره كتاب فصلت
آياته هذا مذهب البصريين و { فُرْءَانًا } منصوب على الحال المعنى بينت
آياته في حال جمعه { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } أي لمن يعلم.

قوله تعالى: { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ } يعني أهل مكة { فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } تكبرا
عنه { وَقَالُوا فُلُونَا فِي أَكْنَةٍ } أي في أعطية فلا نفعه قولك وقد سبق
بيان الأكنة والوقر في [الأنعام/25] ومعنى الكلام إنا في ترك القبول منك
بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم { وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ } أي حاجز في
النحلة والدين. قال الأخفش: ومن هاهنا للتوكيد.
قوله تعالى: { فَ عَمَلٌ } فيه قولان.

أحدهما: اعمل في إبطال أمرنا إنا عاملون على إبطال أمرك.
والثاني: اعمل على دينك إنا عاملون على ديننا { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }
أي لولا الوحي لما دعوتكم.

والرابع: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعات قاله الضحاك ومقاتل.
والخامس: لا يعطون زكاة أموالهم قال ابن السائب كانوا يحجون
ويعتمرون ولا يزرعون.

قوله تعالى: { غَيْرُ مَمْنُونٍ } أي غير مقطوع ولا منقوص.
{ قُلْ أَءِتَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِ لَدَى خَلْقَ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ
رَبُّ لَعَالِمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رِوَابِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَئِذِينَ * ثُمَّ يَنْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَاللَّأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتِنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ لِذُنْيَا
بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَفْدِيرٌ لِّعَزِيزٍ لِّعَلِيمٍ {

قوله تعالى: { خَلْقَ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ } قال ابن عباس في يوم الأحد
والاثنين وبه قال عبد الله بن سلام والسدي والأكثرون وقال مقاتل في
يوم الثلاثاء والأربعاء. وقد أخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة
قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال «خلق الله عز وجل
التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم

الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس» وهذا الحديث يخالف ما تقدم وهو أصح. قوله تعالى: { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا } قد شرحناه في [البقرة/22] وذلك الذي فعل ما ذكر رب العالمين.

{ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا } أي جبالا ثوابت من فوق الأرض { وَبَرَكَ فِيهَا } بالأشجار والثمار والحبوب والأنهار. وقيل البركة فيها أن ينمي فيها الزرع فتخرج الحبة حبات والنواة نخلة { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا } قال أبو عبدة: هي جمع قوت وهي الأرزاق وما يحتاج إليه.

وللمفسرين في هذا التقدير خمسة أقوال:

أحدها: أنه شقق الأنهار وغرس الأشجار قاله ابن عباس.

والثاني: أنه قسم أرزاق العباد والبهائم قاله الحسن.

والثالث: أقواتها من المطر قاله مجاهد.

والرابع: قدر لكل بلدة ما لم يجعله في الأخرى كما أن ثياب اليمن لا تصلح

إلا ب اليمن والهروية ب هراة ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة قاله

عكرمة والضحاك.

والخامس: قدر البر لأهل قطر والتمر لأهل قطر والذرة لأهل قطر قاله

ابن السائب.

قوله تعالى: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } أي في تنمة أربعة أيام قال الأخفش ومثله

أن تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين وإحداهما التي تزوجتها أمس.

قال المفسرون: يعني الثلاثاء وهما مع الأحد والإثنين أربعة أيام.

قوله تعالى: { سَوَاءٌ } قرأ أبو جعفر { سَوَاءٌ } بالرفع وقرأ يعقوب وعبد

الوارث { سَوَاءٌ } بالجر وقرأ الباقر من العشرة بالنصب قال الزجاج: من

قرأ بالخفض جعل سواء من صفة الأيام فالمعنى: في أربعة أيام مستويات

تامات. ومن نصب فعلى المصدر فالمعنى: استوت سواء واستواء. ومن

رفع فعلى معنى هي سواء.

وفي قوله: { لِلسَّائِلِينَ } وجهان.

أحدهما: للسائلين القوت لأن كلا يطلب القوت ويسأله.

والثاني: لمن يسأل في كم خلقت الأرض فيقال خلقت في أربعة أيام

سواء لا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: { ثُمَّ سُبَّوْا إِلَى السَّمَاءِ } قد شرحناه في [البقرة/29]

{ وَهِيَ دُخَانٌ } وفيه قولان:

أحدهما: أنه لما خلق الماء أرسل عليه الريح فتار منه دخان فارتفع وسما

فسماه سماء.

والثاني: أنه لما خلق الأرض أرسل عليها نارا فارتفع منها دخان فسما.

قوله تعالى: { فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ } قال ابن عباس: قال للسماء أظهري

شمسك وقمرك ونجومك وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك

{ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } قال الزجاج: هو منصوب على الحال

وإنما لم يقل طائعات لأنهن جري مجرى ما يعقل ويميز كما قال في

النجوم { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس/40] قال وقد قيل: أتينا نحن ومن

فينا طائعين.

{ فَقَصَّاهُنَّ } أي خلقهن وصنعهن قال أبو ذئب الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

معناه عملهما وصنعهما.

قوله تعالى: { فِي يَوْمَيْنِ } قال ابن عباس وعبد الله بن سلام وهما يوم الخميس ويوم الجمعة. وقال مقاتل الأحد والاثنين لأن مذهبه. أنها خلقت قبل الأرض وقد بينا مقدار هذه الأيام في [الأعراف/54].
{ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا } فيه قولان.

أحدهما: أوحى ما أراد وأمر بما شاء قاله مجاهد ومقاتل.
والثاني: خلق في كل سماء خلقها قاله السدي.

قوله تعالى: { وَرَبِّنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا } أي القربى إلى الأرض { بِمَصْبِيحٍ } وهي النجوم والمصابيح السرج فسمي الكوكب مصباحاً لإضاءته { وَحِفْظاً } قال الزجاج: معناه وحفظناها من استماع الشياطين بالكواكب حفظاً.

{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَسَتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ لِيَدٍ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَفَهُمْ غَذَابٍ لِحِزِّي فِي لَحْيَوَةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتُهُمْ فَسَخَّطُوا لِعَمَىٰ عَلَىٰ لِهْدَىٰ فَآخَذْتُهُمْ صَاعِقَةً لَعَذَابٍ لَّهُونٍ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا لِدِينٍ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }

قوله تعالى: { فَإِنْ أَعْرَضُوا } عن الإيمان بعد هذا البيان { فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً } الصاعقة: المهلك من كل شيء، والمعنى: أنذرتكم عذاباً مثل عذابهم. وإنما خص القبيلتين، لأن قريشاً يمرون على قري القوم في أسفارهم.

{ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ } أي: أتت آباءهم ومن كان قبلهم { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } أي: من خلف الآباء، وهم الذين أرسلوا إلى هؤلاء المهلكين { أَلَّا تَعْبُدُوا } أي: بأن لا تعبدوا { إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا } أي: لو أراد دعوة الخلق { لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً }.

قوله تعالى: { فَسَتَكْبَرُوا } أي: تكبروا عن الإيمان وعملوا بغير الحق. وكان هود قد تهددهم بالعذاب فقالوا: نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا. والآيات هاهنا: الحجج.

وفي الريح الصرصر أربعة أقوال:

أحدها: أنها الباردة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال الفراء: هي الريح الباردة تحرق كالنار، وكذلك قال الزجاج: هي الشديدة البرد جداً، فالصرصر متكرر فيها البرد، كما تقول: أقللت الشيء وقلقلته، فأقللته بمعنى رفعت، وقلقلته: كررت رفعه.

والثاني: أنها الشديدة السموم، قاله مجاهد.

والثالث: الشديدة الصوت، قاله السدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة.

والرابع: الباردة الشديدة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: { نَحْسَاتٍ } بإسكان الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرهما. قال الزجاج: من كسر

الحاء، فواحدهن نحس. ومن أسكنها فواحدهن نحس، والمعنى: مشؤومات.

وفي أول هذه الأيام ثلاثة أقوال:

أحدها: غداة يوم الأحد، قاله السدي.

والثاني: يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس.

والثالث: يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام، والخزي: الهوان.

قوله تعالى: {وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ} فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بينا لهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبیر. وقال قتادة: بينا لهم سبيل الخير والشر.

والثاني: دعوناهم، قاله مجاهد.

والثالث: دللناهم على مذهب الخير، قاله الفراء.

قوله تعالى: {فَسَتَجِدُوا لِعَمَى} أي: اختاروا الكفر على الإيمان،

{فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً لِعَذَابِ لَهْوَن} أي: ذي الهوان، وهو الذي يهينهم.

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ

عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ

لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ لِيذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ

مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ *

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ

يَصْبِرُوا فَإِنَّ النَّارَ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ * وَقَبِّضْنَا

لَهُمْ قُرْنَاءَ قَرِينًا لَّهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي

أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ {

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ} وقرأ نافع: نحشر بالنون أعداء بالنصب.

قوله تعالى: {فَهُمْ يُوزَعُونَ} أي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

{حَتَّىٰ إِذَا مَا} يعني النار التي حشروا إليها {جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ} وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال:

أحدها: الأيدي والأرجل.

والثاني: الفروج، روي عن ابن عباس.

والثالث: أنه الجلود نفسها، حكاه الماوردي. وقد أخرج مسلم في أفراد

من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضحك فقال: هل تدرّون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال:

من مخاطبة العبد ربه، يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول:

بلى، قال: فيقول: لا أجزى علي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى

بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على

فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه

وبين الكلام، فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنك كنت أناضل.

قوله تعالى: {قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ لِيذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} أي:

مما نطق. وهاهنا تم الكلام. وما بعده ليس من جواب الجلود.

قوله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ} {

روي البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: كنت

مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفي

وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمع، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخرون: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإن لم نرفع لم يسمع، وقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كله، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ } إلى قوله: { مَنْ لِحَسِرَينَ } ومعنى تستترون: تستخفون أن يشهد أي: من أن يشهد عليكم سمعكم لأنكم لا تقيدون على الاستخفاء من جوارحكم، ولا تظنون أنها تشهد { وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ } قال ابن عباس: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا، ولكنه يعلم ما يظهر، { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ } أي: أن الله لا يعلم ما تعملون، { أُرْدَاكُمْ } أهلككم. { فَإِنْ يَصْبِرُوا } أي: على النار فهي مسكنهم، { وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا } أي: يسألوا أن يرجع لهم إلى ما يحبون، لم يرجع لهم، لأنهم لا يستحقون ذلك. يقال: أعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إياي. واستعتبته، أي: طلبت منه أن يعتب أي: يرضي.

قوله تعالى: { وَقَفَّيْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ } أي: سببنا لهم قرناء من الشياطين { فَزَيَّبُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين أيديهم: من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم: من أمر الدنيا، فزينوا لهم اللذات وجمع الأموال وترك الإنفاق في الخير.

والثاني: ما بين أيديهم: من أمر الدنيا، وما خلفهم: من أمر الآخرة، على عكس الأول.

والثالث: ما بين أيديهم: ما فعلوه، وما خلفهم: ما عزموا على فعله.

وباقى الآية قد تقدم تفسيره [الاسراء/ 16] [الأعراف/ 38].

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ * فَلَنذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ لِيذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }

قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ } أي: لا تسمعوه { وَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } أي: عارضوه باللغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة، وكان الكفار يوصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم حتى تلبسوا عليهم قولهم. وقال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ { لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } فيسكتون.

قوله تعالى: { ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ } يعني العذاب المذكور. وقوله: { الَّذِينَ لَهُمْ } بدل من الجزاء { لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ } أي: دار الإقامة. قال الزجاج: النار هي الدار، ولكنه كما تقول: لك في هذه الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها، قال الشاعر:

أخور رغائب يعطيها ويسألها بأبى الظلّامة منه النوفل الزفر

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا لِلَّذِينَ أَصَلْنَا مِنْ لِحْنٍ وَ لَانِسَ تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْقَلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمْ لِمَلِيكَةٍ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا لِيَوْمِ لِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * }

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوٍ رَجِيمٍ {

قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } لما دخلوا النار { رَبَّنَا أَرْنَا لِلَّذِينَ أَصَلْنَا } وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: { أَرْنَا } بسكون الراء. قال المفسرون: يعنون إبليس وقابيل، لأنهما سنا المعصية، { تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } أي: في الدرك الأسفل، وهو أشد عذاباً من غيره.

ثم ذكر المؤمنين فقال: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ } أي: وحدوه { ثُمَّ سَبَّحُوا } فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصديق، ومجاهد. والثاني: على طاعة الله وأداء فرائضه، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية، والسدي، وروى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفاعونا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربنا الله، وعزيز ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربنا الله وحده، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام.

قوله تعالى: { تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمْ لِمَلِيكَةٍ أَلَّا تَخَافُوا } أي: بأن لا تخافوا. وفي وقت نزولها عليهم قولان:

أحدهما: عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد. فعلى هذا في معنى { لا تَخَافُوا } قولان.

أحدهما: { لا تَخَافُوا } الموت { وَلَا تَحْزَنُوا } على أولادكم قاله مجاهد. والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي.

والقول الثاني: تنزل عليهم إذا قاموا من القبور قاله قتادة فيكون معنى لا تخافوا أنهم يبشرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة.

قوله تعالى: { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ } قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم والمعنى: نحن الذين كنا نتولاكم في الدنيا لأن الملائكة تتولى المؤمنين وتحبهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السماء { وَفِي الْآخِرَةِ } أي ونحن معكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي: هم الحفظة على ابن آدم فلذلك قالوا { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } وقيل: هم الملائكة الذين يأتون لقبض الأرواح.

قوله تعالى: { وَلَكُمْ فِيهَا } أي: في الجنة.

{ نَزَّلْنَا } قال الزجاج: معناه: أبشروا بالجنة تنزلونها نزلاً. وقال الأخفش: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أنزلناه نزلاً.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي لِحَسَنَةٍ وَلَا لِسَيِّئَةٍ رُفِعَ بِهَا لُبِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا لِيذِي بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

قوله تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } فيمن أريد بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المؤذنون. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: نزلت في المؤذنين، وهذا قول عائشة، ومجاهد، وعكرمة.

والثاني: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد.

والثالث: أنه المؤمن أجاب الله إلى ما دعاه، ودعا الناس إلى ذلك { وَعَمِلَ صَالِحًا } في إجابته، قاله الحسن.

وفي قوله: { وَعَمِلَ صَالِحًا } ثلاثة أقوال:

أحدها: صلى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومجاهد، وروى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } قال: الأذان { وَعَمِلَ صَالِحًا } قال: الصلاة بين الأذان والإقامة.

والثاني: أدى الفرائض وقام لله بالحقوق، قاله عطاء.

والثالث: صام وصلى، قاله عكرمة.

قوله تعالى: { وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ } قال الزجاج: لا زائدة مؤكدة والمعنى: ولا تستوي الحسنة والسيئة وللمفسرين. فيهما ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الحسنة: الإيمان، والسيئة: الشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: الحلم والفحش، قاله الضحاك.

والثالث: النفور والصبر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: { لَفَعَلْتُ لِيْهِ أَحْسَنُ } وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصديق القريب، وقال عطاء: هو السلام على من تعاديه إذا لقيته. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: { وَمَا يُلْقَاهَا } أي: ما يعطاها. قال الزجاج:

ما يلقي هذه الفعلة: وهي دفع السيئة بالحسنة { إِلَّا لِّذِينَ صَبَرُوا } على

كظم الغيظ { وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } من الخير. وقال السدي: إلا

ذو جد. وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة؛ فالمعنى: ما يلقاها إلا من

وجبت له الجنة.

قوله تعالى: { وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ } قد فسرناه في [الأعراف/ 200].

{ وَمِنْ آيَاتِهِ لَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِن سَبَّحْتُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْبَحْنَ * وَإِن يَسْأَلُوكُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْأَلُوهُنَّ * وَإِن يَسْأَلُوكُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْأَلُوهُنَّ * وَإِن يَسْأَلُوكُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْأَلُوهُنَّ * وَإِن يَسْأَلُوكُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْأَلُوهُنَّ * }

قوله تعالى: { فَإِن سَبَّحْتُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْبَحْنَ } أي: تكبروا عن التوحيد والعبادة { فَإِن يَسْأَلُوكُمُوهُنَّ فَبِأَنفُسِكُمْ تَسْأَلُوهُنَّ } أي: يصلون. ويسألون بمعنى يملون.

وفي موضع السجدة قولان:

أحدهما: أنه عند قوله: يسأمون، قاله ابن عباس، ومسروق، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى، لأنه تمام الكلام.
والثاني: أنه عند قوله: {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن.

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً} قال قتادة: غبراء متهشمة قال الأزهري: إذا يبست الأرض ولم تمطر، قيل: خشعت.
قوله تعالى: {هُتِرَتْ} أي: تحركت بالنبات {وَرَبَّتْ} أي: علت، لأن النبات إذا أراد أن يظهر ارتفعت له الأرض؛ وقد سبق بيان هذا [الحج/ 5].

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَلْزَمُ آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ لِبَاطِلٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا} قال مقاتل: نزلت في أبي جهل. وقد شرحنا معنى الإلحاد في [النحل/ 103] وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال:

أحدها: أنه وضع الكلام على غير موضعه، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه المكاء والصفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد.

والثالث: أنه التكذيب بالآيات، قاله قتادة.

والرابع: أنه المعاندة، قاله السدي.

والخامس: أنه الميل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: {لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} هذا وعيد بالجزاء {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي} وهذا عام، غير أن المفسرين

ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال:

أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أبو جهل وعمار بن ياسر، قاله عكرمة.

والثالث: أبو جهل ورسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن السائب،

ومقاتل.

والرابع: أبو جهل وعثمان بن عفان، حكاه الثعلبي.

والخامس: أبو جهل وحمزة، حكاه الواحدي.

والسادس: أبو جهل وعمر بن الخطاب.

والسابع: الكافر والمؤمن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: {عَمَلُوا مَا شِئْتُمْ} قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر، ومعناه

الوعيد والتهديد.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ} يعني القرآن؛ ثم أخذ في وصف

الذكر؛ وترك جواب إن، وفي جوابها هاهنا قولان:

أحدهما: أنه أولئك ينادون من مكان بعيد، ذكره الفراء.

والثاني: أنه متروك، وفي تقديره قولان: أحدهما: إن الذين كفروا بالذكر

لما جاءهم كفروا به. والثاني: إن الذين كفروا يجازون بكفرهم.

قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} فيه أربعة أقوال:

أحدها: منيع من الشيطان لا يجد إليه سبيلا، قاله السدي.

والثاني: كريم على الله، قاله ابن السائب.

والثالث: منيع من الباطل، قاله مقاتل.

والرابع: يمتنع على الناس أن يقولوا مثله، حكاه الماوردي.
قوله تعالى: {لَا يَأْتِيهِ لَبَطُلٌ} فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: التكذيب، قاله سعيد بن جبير.
والثاني: الشيطان.

والثالث: التبديل، روي عن مجاهد. قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقا، ولا يزيد فيه باطلا، وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه.
وفي قوله: {مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} ثلاثة أقوال.
أحدها: بين يدي تنزيهه، وبعد نزوله.

والثاني: أنه ليس قبله كتاب يبطله، ولا يأتي بعده كتاب يبطله.
والثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم، ولا في إخباره عما تأخر.
{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ءِءَادَائِهِمْ وَفُرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ}

قوله تعالى: {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ} فيه قولان:
أحدهما: أنه قد قيل فيمن أرسل قبلك: ساحر وكاهن ومجنون. وكذبوا
كما كذبت، هذا قول الحسن، وقتادة، والجمهور:
والثاني: ما تخبر إلا بما أخبر الأنبياء قبلك من أن الله غفور، وأنه ذو
عقاب، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ} يعني الكتاب الذي أنزل عليه {قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا} أي: بغير لغة العرب {لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} أي: هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمه؟ {ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: {أَعْجَمِيٌّ} بهمزة ممدودة، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: {أَعْجَمِي} بهمزتين، والمعنى: أكتاب أعجمي ونبي عربي؟ وهذا استفهام إنكار؛ أي: لو كان كذلك لكان أشد لتكذيبهم.

{لَمَجِيضٌ قُلْ هُوَ} يعني القرآن {هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} من الضلالة {وَشِفَاءٌ} {لِلشُّكُوكِ وَالْأَوْجَاعِ}. والوقر: الصمم؛ فهم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم.

{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} أي: ذو عمى. قال قتادة: صموا عن القرآن وعموا عنه {أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي ينادي من بعيد.

{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ لِكِتَابٍ فِيهِ خُتِيفٌ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ لِكِتَابٍ} هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى: كما أمن بكتابك قوم وكذب به قوم. فكذاك كتاب موسى، {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} في تأخير العذاب إلى أجل مسمى وهو القيامة {لَفُضِي بَيْنَهُمْ} بالعذاب الواقع بالمكذبين {وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ} من صدقك وكتابك، {مُرِيبٍ} أي: موقع لهم الريبة.

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ }

قوله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا عن الساعة إن كنت رسولا كما تزعم، قاله مقاتل. ومعنى الآية: لا يعلم قيامها إلا هو، فإذا سئل عنها فعلمها مردود إليه.

{وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: من ثمرة. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: من ثمرات على الجمع {مِنْ أَكْمَامِهَا} أي: أوعيتها. قال ابن قتيبة: أي: من المواضع التي كانت فيها مستترة، وغلاف كل شيء: كمه، وإنما قيل: كم القميص، من هذا. قال الزجاج: الأكمام: ما غطى، وكل شجرة تخرج ما هو مكمم فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غطى جمارها من السعف والليف والجذع، وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، فالطلعة كمها قشرها، ومن هذا قيل للقلنسوة: كمة، لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كما القميص، لأنهما يعطيان اليدين.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} أي: ينادي الله تعالى المشركين {أَيْنَ شُرَكَائِيَ} الذين كنتم تزعمون {قَالُوا أَدْنَاكَ} قال الفراء، وابن قتيبة: أعلمناك. وقال مقاتل: أسمعناك {مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} فيه قولان: أحدهما: أنه من قول المشركين؛ والمعنى: ما منا من شهيد بأن لك شريكا، فيتبرؤون يومئذ مما كانوا يقولون، هذا قول مقاتل. والثاني: أنه من قول الآلهة التي كانت تعبد؛ والمعنى: ما منا من شهيد لهم بما قالوا، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: {وَضَلَّ عَنْهُمْ} أي: بطل عنهم في الآخرة {مَا كَانُوا يَدْعُونَ} أي: يعبدون في الدنيا، {وَطَنُوا} أي: أيقنوا {مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ} وقد شرحنا المحيص في سورة [النساء/ 121].

{لَا يَسْأَلُ إِلَّا نَسْرًا مِنْ دُعَاءٍ لِحَيْرٍ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسُّ قَنُوطًا * وَلَئِنْ أَدْفَنَهُ رَحْمَةَ مَنَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْتَىٰ فَلْيُنَبِّئَنِّي لَذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَبَأَىٰ بَخَائِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }

قوله تعالى: {لَا يَسْأَلُ إِلَّا نَسْرًا} قال المفسرون: المراد به الكافر؛ فالمعنى: لا يمل الكافر {مِنْ دُعَاءٍ لِحَيْرٍ} أي: من دعائه بالخير، وهو المال والعافية. {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ} وهو الفقر والشدة، والمعنى: إذا اختبر بذلك بئس من روح الله وقنط من رحمته. وقال أبو عبيدة: اليؤوس، فعول من يأس، والقنوط، فعول من قنط.

قوله تعالى: {لَئِنْ أَدْفَنَهُ رَحْمَةَ مَنَّا} أي: خيرا وعافية وغنى {لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} أي: هذا واجب لي بعلمي وأنا محقوق به ثم يشك في البعث فيقول {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} أي لست على يقين من البعث {وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْتَىٰ} يعني الجنة أي كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة {فَلْيُنَبِّئَنِّي لَذِينَ كَفَرُوا} أي لنخبرنهم بمساوئ

أعمالهم وما بعده قد سبق [إبراهيم/17] [الإسراء/83] إلى قوله تعالى {وَتَأَىٰ بَجَائِبِهِ} قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {وَتَأَى} مثل نعى. وقرأ ابن عامر وناء مفتوحة النون ممدودة والهمزة بعد الألف. وقرأ حمزة نثى مكسورة النون والهمزة.

{قَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} قال الفراء وابن قتيبة معنى العريض الكثير وإن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام. {قُلْ} يامحمد لأهل مكة {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ} القرآن {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ} أي خلاف للحق بعيد عنه وهو اسم والمعنى فلا أحد أضل منكم وقال ابن جرير معنى الآية: ثم كفرتم به أستم في شقاق للحق وبعد عن الصواب فجعل مكان هذا باقي الآية.

{سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَوَأَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا لِحَقُّ أَوْلِيمُ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ}

قوله تعالى: {سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} فيه خمسة أقوال.

أحدها: في الآفاق: فتح أقطار الأرض وفي أنفسهم: فتح مكة، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنها في الآفاق: وقائع الله في الأمم الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدر، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: أنها في الآفاق: إمساك القطر عن الأرض كلها، وفي أنفسهم: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج. والرابع: أنها في الآفاق: آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادث الأرض، قاله ابن زيد. وحكي عن ابن زيد: أن التي في أنفسهم: سبيل الغائط والبول، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين.

والخامس: أنها في الآفاق: آثار من مضى قبلهم من المكذبين، وفي أنفسهم: كونهم خلقوا نطفًا ثم علقا ثم مضغًا ثم عظامًا إلى أن نقلوا إلى العقل والتمييز، قاله الزجاج.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا لِحَقُّ} في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن.

والثاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسول. وقال ابن جرير: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا على محمد وأوحينا إليه من الوعد له بأننا مظهر ودينه على الأديان كلها.

{أَوْلِمُ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} أي: أولم يكف به أنه شاهد على كل شيء؟ قال الزجاج: المعنى: أو لم يكفهم شهادة ربك؟ ومعنى الكفاية هاهنا: أنه قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة على توحيده وتثبيت رسله.